ادب الحرب

كبتن كونان

للقصصي الفرنسي روجيه فرسل

(صاحب جائزة جنكور لعام ١٩٣٤)

كان لهذا الشهر في عالم الأدب الفرنسي أهمية كبرى تميزه من سائر شهور العام. فقد سطعت في النصف الأول منه أسماء أربعة من الكتاب بعد أن فاز كل منهم بأحدى الجوائز الأدبية الكبرى التي تمنح في فرنسا في مثل هذا الشهر من كل عام الى خير قصة يقع عليها اختيار لجنة تحكيم كل جائزة من هذه الجوائز. ولقد ذكرنا أكثر من مرة أن اهتمام الغرب بالأكثار من الجوائز الأدبية، يرتفع عن المكافأة المادية التي تصيب الكاتب الفائز، وأن الغرض الأسمى هو شحذ همم الكتاب، والاحتفاظ ببواطفة المنافسة حارة في قلوبهم. وكل من تصفح الجرائد الأدبية الفرنسية الكبرى خلال الشهر الفائت استطاع أن يعرف مقدار اهتمام الفرنسيين - وهم كغيرهم من أمم الغرب - بأمر هذه الجوائز الأدبية. واستطاع أن يحس بما تخلقه هذه المباريات في نفوس الأدباء حين يقرأ أخاديثهم قبل ظهور قرار المحكمين. تلك الأحاديث الممتلئة بالعبارات المتحمسة، القلقة على مصاير أعمالهم وعصارة عقولهم. وعندئذ يشعر بحاجة كل أمة متمدنة تبغي النهوض لفتوحها وآدابها إلى مثل هذه الجوائز.

* * *

وروجيه فرسل Roger Vercel الفائز بجائزة جنكور أستاذ للآداب بكلية دينان Dinan ، وهو الآن في الأربعين من عمره. ولد في بلدة نانز، ولما شب تعلم في (فليش) ثم انتقل الى (كان) ليدرس الأدب، ولكن لم يكد ينقضي عام حتى شبت الحرب الكبرى فانتزعته من أحضان كتبه وأساتذته الذين كان يجلهم أعظم إجلال مثل بيير في الأستاذ الضرير الذي لا يزال يذكره روجيه فرسل بالخير، ويرجع إليه أكبر الفضل في نجاحه في الحياة العامة، ومثل موريس سورو الذي أصلح له فيما بعد رسالته عن كورني، فنال بها ليسانس الآداب.

حارب فرسل في كثير من الميادين الحربية في فرنسا مثل: ايبر وشمباني وسوم وأرجون، ثم أوفدته السلطات العليا إلى عدد من بلدان أوروبا الشرقية للقيام ببعض المهام، فرأى اليونان وصربيا وبلغاريا ورومانيا، واستفاد من ذلك أجل الفائدة، إذ عرف أمماً تختلف عن وطنه في كثير من النواحي، وفهم نفسيات شعوبها، وأخلاق أهلها، وكان ذلك أكبر عون له على رسم كثير من شخصيات قصصه. وفكرة قصته Copitaine Conan التي نال عليها الجائزة إنما انبعثت في نفسه حين كان يعمل مقرراً لمجلس الحرب في صوفيا.

ابتدأ فرسل يخوض غمار الأدب برسالته القيمة Images dans l'oeuvres de Corneille التي نال بها ليسانس الآداب. وبعد ذلك نشر كتابه Lexique des images de Corneille et de Racine وبعد هذا الكتاب ظهرت قصته الأولى Notre péres Trajin ، وتلتها قصة En Dérive ثم Au large l'Eden ثم Le maitre du réve ثم ظهرت له هذا العام Copitaine Conan. وقد ابتدأت مجلة (جرنجوار) الأدبية تنشر له منذ بضعة أسابيع آخر قصصه La nuit macédonienne

ولفرسل ترجمة شيقة عن (دوجسكلان) Du Guesclin وهو يراسل عدداً كبيراً من المجلات الفرنسية الكبرى، وعلى الأخص (ريفودوفرانس) و (ماريان) و (جرنجوار)

* * *

وروجيه فرسل يهيم بالقوة، والأرادة الجبارة، والشجاعة الخارقة التي يراها واضحة جلية في كثير من رجال الجيش وبحارة السفن والصيادين المخاطرين. وهو يرى أن غرائزنا الوراثية الأولى التي تدفعنا إلى احتقار الحياة والأستهانة بالموت، والغرام بالنزال

والقتال ، تلك الغرائز التي يظن الكثير أنها ماتت بتطور الانسان لا زال كامنة فينا ، وسرعان ما تطغى على شخصيات الكثير منا عند ماتمهد الفرصة المناسبة لظهورها كالحرب مثلاً التي هي أكبر عامل في اظهار هذه الغرائز الأولى . وفي قصة (كبتن كونان) يرسم لنا فرسل صوراً من أولئك الأبطال الذين يحملون أرواحهم على أكفهم مستهدفين للمهالك غير عابئين بالموت ، وإليهم يُرجع كل فضل في الفوز والانتصار

و(كونان) بطل القصة رجل صغير الجسم ، هادئ الطبع ، لين الجانب كان يشتغل بائعاً صغيراً في سان مالو . ولم تكد تشب الحرب عام ١٩١٤ ويتطوع فيها في جيش الشرق حتى تستيقظ فيه بطولة كانت خامدة تسوقه إلى مراتب الرقي السريع ، فتراه على رأس فصيلة صغيرة في الجيش نفخ فيها من روحه وبسالته ، حتى استيقظت في أفرادها نفس الغرائز التي استيقظت فيه ، غرائز الانسان الأول الذي لا يعرف للحياة قيمة ولا للموت رهبة ، فينساقون وراء رئيسهم (كونان) إلى شتى ضروب المهالك دون خوف ولا وجل .

لقد تجردوا من كل صفات الجنود النظاميين ، وأصبحوا أشبه ما يكون برؤساء العصابات ، لا يعرفون لهم قانوناً إلا الشجاعة الخارقة التي يجب أن تذوب أمامها كل عقبة تحول بينهم وبين تحقيق ما يرغبون . فبينما نرى في كثير من الأحيان أن سائر فصائل الجيش ينقصها الزاد والماء ، نرى ذلك عند فصيلة الكبتن كونان دائماً كاملاً موفوراً بل زائداً عن حاجتهم . وبينما نرى سائر الجنود يرهبون النزال مع العدو وجهاً لوجه حيث يمزق بعضهم أجسام بعض بالسيوف أو بأسنة الحراب ، ويعتبرون ذلك أشد ضروب القتال هولاً . نرى الكبتن كونان وأتباعه لا يترددون لحظة في الهجوم على خنادق العدو ، وقد تسلحوا بالقنابل اليدوية والخناجر معلقة إلى جوانبهم يغرسونها في أحشاء أعدائهم دون شفقة ولا رحمة حتى أطلق عليهم اسم (منظفي الخنادق) . ذلك أن كلا منهم كما يقول رئيسهم (كونان) لا يعترف إلا أنه (محارب) فحسب ، وليس جندياً يخلص للنظم العسكرية وتقاليدها كما يفعل سائر الجنود الآخرين . بل هم ينظرون إلى هذه النظم والتقاليد العسكرية نظرة الاستهتار بها والاحتقار لأمرها في الانتصار . وإنك لتستطيع أن تفسر جيداً نفسية أولئك (المحاربين) حين تقرأ كلام (كونان) إلى أحد رفاقه الذي يلومه على تصرفاته هو وزملاؤه ويقول : (حاول قليلاً أيها العجوز المسكين أن تفهم) فيجيبه كونان :

(أفهم ؟ أتظن أني لا أفهم لأني أتكلم بصوت عال ؟ إنني أعرف جيداً منذ بعيد أنهم كانوا يخجلون من أعمالنا ، وكانوا لا يعرفون كيف يتخلصون منا ! إنني أنا وشبابي الذين خضنا حقيقة غمار الحرب ، ونحن الذين يرجع إلينا كل فضل في الانتصار ! أنا ومن عائلتي من الأعوان الذين أرعبنا الجيوش . أسامع أنت ؟ الجيوش التي كانت ترانا في كل مكان ، وكانت لا تحسب لغيرنا حساباً ، ولا ترهب سوانا منذ اندلعت أول شرارة ! إن قتل جندي أمر في استطاعة كل فرد أن يقوم به ، أما مهمتنا نحن فكانت قتل ذلك الجندي بطريقة تلقي الفزع في أدمغة عشرة آلاف آخرين ! لذا كان من اللازم الذهاب للقاء العدو بالخناجر . أفاهم أنت ؟ إن الخنجر هو الذي كسب الحرب ، وليس المدفع ! إن ذلك النوع من الرجال الذي أحدثك عنه لا يزيد على ثلاثة آلاف في كل جبهات القتال . على أن هؤلاء هم المنتصرون وحدهم . هم المنتصرون الحقيقيون !)

والقارئ لا يستطيع أن يتمالك نفسه من الأسى والتأثر أمام الخاتمة المحزنة التي تنتهي بها مأساة تلك الشخصيات الفريدة . فقد مضت سنو الحرب الأربع ، وإذا (كونان) بطل مقدام فاتر بوسام الشرف ، تحلي صدره نياشين المجد والفخار . على أنه لا تكاد

الثورة العربية

بقلم فخري أبو النصر عبود المدرس بالمعاهد الثانوية

كتاب يجب أن يقرأه كل مصري

يطلب من المكتبة التجارية بشارع محمد علي والنهضة بالحدايق والهلال بالفجالة والمدنية بميدان سوارس بالقاهرة والعباسية بالاسكندرية ومكتبة الشباب بكل الجهات بالقطر

الثمن ٥ النسخ الباقية معدودة

تعقد الهدنة العامة وينطق جحيم المجزرة البشرية الكبرى ، وتوزن الأعمال بميزان أقرب إلى العدل والمنطق حتى نرى الذين كانوا يعتبرون بالأمس أبطالاً صناديد ، والذين يسألهم النادرة وإراقة دمائهم دون حساب ضمنوا لجيشهم الفوز مراراً في ساحة الوغى ، نراهم اليوم وقد أضحى الجميع يعتبرون عملهم جريمة لا تغتفر . وينظر اليهم مجلس الحرب نفسه نظرة الخارجين على القانون ، المنتهكين لحرمة الشرف العسكري !

وبانتهاء الحرب ينصرف الجنود جيشاً إلى بلادهم وذويهم متنفسين الصعداء بعد أعوام مريرة من العذاب والشقاء . إلا أن هذه الظاهرة العادية لا نجدها عند الكبتن كونان ورفاقه . إذ يصور لنا روجيه فرسل كيف عاد كونان إلى مسقط رأسه يعمل كما كان تاجراً بسيطاً كسير القلب محطم النفس ، غير راض عن حالة السلم والهدوء ، غير مرتاح إلى العيش في مجتمع لا يناسب ميوله وغرائزه التي بعثتها الحرب من مرقدها ، وأصبح لا يجد إلى التخلص منها سبيلاً

ويتزوج كونان . ثم تمضي الأيام فاذا الحياة الهادئة الوادعة لا تناسبه فيترهل جسده وتنتفخ أوداجه ، ويضنيه مرض الكبد وكلما تقدمت به السن شعر بأنه فقد كل شيء ، وضاق بالحياة كلها ذرعاً

إن روجيه فرسل يجمع في قصته فكرتين : أولاهما الأعجاب بأولئك الأبطال والرثاء لهم ، وثانيتهما الدعوة ضد الحرب ، فهولا يرى الحرب التي توقظ في هذا النوع من الناس بطولتهم الراقدة تحت وعيهم . بل هو بالعكس يريد أن يبين لنا أن (الحرب هي الشر الأعظم) كما يقول . أليست هذه الشخصيات التي يصورها لنا خير تصوير كأبطال الحرب الحقيقيين هي كذلك أول ضحاياها ؟ أليست شجاعتهم الخارقة بجعلهم أول وقود لسعيرها الجهنمي ؟ ثم أيضاً ذلك النفر منهم الذي يفقده الحظ الحسن من الموت في ميدان القتال ، ألم تحطم سعادته ، وتشق حياته كما رأينا في كونان ، ذلك التاجر البسيط الوديع الهادئ العيش الذي أصبح بعد أربعة أعوام من المذابح البشرية رجلاً أجدر به أن يوضع في عداد المرضى حين لا يستطيع الحياة في مجتمع خلو من القتل وسفك الدماء ؟ !

تلك هي ميزة قصة (كبتن كونان) الكبرى ، فلقد كُتب عن الحرب منذ بدئها إلى الآن عدد كبير من الكتب الرائعة ربما كان أعظمها كتابا جورج دوهامل Civilisation و Vie des Martyre ، وكتاب رولان دورجيليه Croix de Bois ، وكتاب هنري باربوس Le feu الذي نال جائزة جنكور عام ١٩١٧ ، وقد تفوق هذه الكتب قصة (كبتن كونان) في كثير من النواحي ، إلا أن روجيه فرسل يمتاز في قصته بأنه عالج موضوعاً ورسم نوعاً من الشخصيات الانسانية بطريقة لم يسبقه اليها غيره من الكتاب

علي فاضل

كستور الشتاء

لكي تقي نفسك شر برد الشتاء

البس الكستور المصنوع في بلدك

من القطن المصري الخالص

بأيدي عمال مصريين

أصنافه متعددة ورسوماته جميلة متنوعة

اطلب كستور

شركة مصر للغزل والنسج

المصنوع بمصانعها بالمحلة الكبرى

من تجار المانيفاتورة بأنحاء القطر ومن محلات

شركة بيع المصنوعات المصرية